قضيّة الجزائر .. أبدًا

« مأساة الجزائر »

بقلم الدكتور عبد الله عبد الدائم

من ابرز امائر النصر الذي يلقاه نضال الشعب العربي في الجزائر تلك الازمات الوجدانية والعقلية التي خلقها في نفوس ابناء فرنسا . ذلك ان النضال الحي لا يغزو بقوته وارادته فحسب ، وانما يغزو فوق هذا وقبل هذا بالقيم العقلية والانسانية التي يحملها .

اما الازمات الوجدانية التي خلقها نضال الجزائر في قلوب الفرنسيين وغير الفرنسيين ، فالشواهد عليها غدت اكثر من ان تحصى . ولا ادل عليها من تلك المظاهرة التي قام بها اخيرا فريق من كبار رجال الفكر في فرنسا . غير ان الى جانب هذه الازمات الوجدانية ازمات من نوع آخر ، تحمل طابع العقل والتفكير العلمي قبل الوجدان والمنازع الانسانية . انها تنتصر لقضية الجزائر ، لا لانها قضية عدل وحق فحسب ، بل لان العقل يأبى ان يتنبأ لها بغير النصر ، ولان التفكير العلمي يكشف عن ان كل مماراة في امرها عبث وضلال .

ومن اهم ما ظهر في هذا الاتجاه الاخير ، الكتيب الذي كتبه المفكر الفرنسي « ريمون ارون » استاذ علم الاجتماع بجامعة السوربون ، تحت عنوان : « مأساة الجزائر » (١) . ان كاتبه يميني النزعة ، بل كثيرا ما عبر عن عدائه لاعمال الثوار الجزائريين . ومع ذلك لم يجد عقله سبيلا الى انكار حقيقة لا مرية فيها وهي ان حركة الجزائر حركة لا بد لها من النصر ، وان مقاومة هذه الحركة على نحو ما فعلته حكومة « غي موليه » مقاومة عديمة المعنى ، فاقدة المدلول . ولهذا نراه يدعو الى ان يحاكم ابناء جلدته هذه المشكلة محاكمة عقلية صريحة ، لا زيف فيها ولا خداع ، وان يقبلوا فيها الحقيقة المرة ، وهي ان الوصول الى ما ندعوه بالسلم في الجزائر عن طريق القوة والارهاب مطلب مليء بالتناقض فارغ من اي مضمون . ومن هنا يفضل الف مرة ان يواجه الفرنسيون الواقع دون ما وجل ، فيقبلوا بارادتهم وعزمهم ان الجزائر بلد مستقل عن فرنسا ، ولا سبيل الى دمجه بالكيان الفرنسي . وهو يريهم ، بنور العقل ، ان القول السائر « الجزائر هي فرنسا » قول لا يستقيم امام البحث والمنطق ، على ما فيه من حرارة وغذاء للعواطف ، وهدهدة للاحلام . وهو يتخذ له شعارا في هذا كله كلمة اثرت عن « مونتيسكيو » : « على المرء ان يقول الحق ولو على وطنه . ان كل مواطن مجبر على ان يموت في سبيل وطنه . غير ان اي مواطن لا يجبر على ان يكذب من اجل وطنه » .

يتألف الكتيب من كلمتين ، كتب اولاهما في نيسان عام ١٩٥٦ ، وكتب الثانية بعد عام تقريبا (في ايار ١٩٥٧) . ولهذا نراه لا يخلو من اعادة لبعض الافكار .

اما الكلمة الاولى فهمّها ان تبين ان فرنسا اذ تحارب في الجزائر تحارب دون ما هدف واضح ، وان الشعارات التي تطلقها شعارات تناقض نفسها بنفسها .

فالكاتب يسائل بادىء الامر عن مبلغ اخلاص فرنسا لنفسها حين تحاول الابقاء على « صلات لا تنفصم » مع الجزائر ، وحين تريد ان تفرض « وجودها » في الطرف الآخر من البحر الابيض المتوسط .

وهنا يثير مسألة هامة ، مسألة المبادىء التي تزعم فرنسا انها تود الدفاع عنها حين تدافع عن الجزائر ، وما تقوله من ان « وجودها » هناك يحول دون تعسف جبهة التحرير الوطني ، ويساعد على اشاعة الحياة الحرة . ويبين ان ثورة ابناء الجزائر على فرنسا كثورة سائر الشعوب المستعمرة في آسيا وافريقيا على الغربيين ، ثورة لا تهدف الى الحصول على حقوق فردية وعدالة انسانية ، بقدر ما تهدف الى الخلاص من السيطرة الاجنبية . ولا يعني هذه الشعوب ان تحصل على مؤسسات حرة ونظم عادلة ، بمقدار ما يعنيها ان تحكم نفسها بنفسها . وهي اذا خيرت بين النظم الحرة تحت الوصاية الغربية وبين نظم جائرة في دولة قومية مستقلة ، فضلت الثانية على الاولى دون اي تردد . ففي الجزائر وفي غير الجزائر ، تأتي مسألة النظم الحرة بعد الاستقلال القومي . وهكذا ينعدم المبرر الاول الذي يزعمه الفرنسيون حين يحاولون القضاء على الثورة في الجزائر ، مدعين انهم يفعلون ذلك لانهم يرون من المشروع ان يفرضوا حضارتهم ومبادئهم الحرة . فالاستقلال كلمة سحرية لا تقاوم لدى الشعوب التي تناضل في سبيل حريتها ، وهي « اسمنت الكتل الاسلامية » .

وهكذا ينتقل الى تفنيد المبرر الثاني الذي يصطنع دفاعا عن الحرب في الجزائر . فكثير من السياسيين والكتاب يبينون ضرورة الاحتفاظ بالجزائر لاسباب اقتصادية : فيذكّرون بمئات الالوف من العاطلين عن العمل الذين يخلقهم انفصام العلائق بين فرنسا والجزائر . وهنا يقول في صراحة ووضوح ان مثل هذه الحجة حجة كاذبة وخطرة جدا تسيء الى القضية التي يدعي انصار هذا الرأي خدمتها . ذلك ان من غير الجائز ان نقول ان شعبا من الشعوب يقاتل في سبيل الاحتفاظ بمنصرفات لعمل ابنائه . صحيح ان استقلال الجزائر ، بعد استقلال تونس ومراكش ، قد يؤدي الى ركود اقتصادي . وصحيح ان بعض الصناعات ، ولا سيما صناعات النسيج ، قد تصاب بأذى . غير ان من

(1) Raymod Aron : La tragédie algérienne, Plon, Juin 1957

الصحيح ايضا ان فرنسا توظف حوالي ثلاثماية مليار فرنك من اموالها في الجزائر ، وان الاسواق المحمية تجلب الكسل وتجر اخيرا نفقات تفوق الارباح . على ان ثمة امرا فوق هذا كله : وهو الاقتصاد الذي يعجز عن ان يحيا ويقوم بنفسه دون ما « صيد غريب » ، اقتصاد ضعيف ينبغي ان يعالج في ذاته . واذا كان الاقتصاد الفرنسي لا يصل الى التغلب على الصعاب التي يخلقها استقلال شمالي افريقيا ، فمعنى ذلك ان علينا ان نتهم هذا الاقتصاد نفسه لا استقلال الجزائر الذي يؤدي اليه . ان هولاندا قد عرفت ان تتغلب على نتائج استقلال اندونيسيا ، رغم ان شأن هذا البلد في اقتصادها يفوق شأن افريقيا في اقتصاد فرنسا .

أفيقال بعد هذا ان اعادة فرنسيي الجزائر الى فرنسا سوف يكلف نفقات ضخمة ؟ أم يقال ان العامل الفرنسي سوف يضطر الى البطالة يوما في كل اسبوع اذا فقدت فرنسا الجزائر ؟ يكفي لدحض هذا كله ان نذكر ان حرب الجزائر تكلف فرنسا كل عام من ٢٠٠ الى ٣٠٠ مليار فرنك . واذا ما ربحت فرنسا الجزائر كلها جدلا ، اضطرت الى توظيف مثل هذا المقدار من المال في كل عام . وهذه الاموال لو وظفت في فرنسا بدلا من الجزائر لدرت على الفرنسيين ارباحا اكبر تشملهم جميعا بدلا من ان تشمل طبقة محدودة من اصحاب رؤوس الاموال المقيمين في الجزائر .

غير ان هذه الامور كلها امور تمس الغد . واهم منها ان نتحدث عن يومنا . اننا اليوم في حرب مع الجزائر . فلنسائل ما معنى ان نربح الحرب في الجزائر ؟ ان حكومة « غي موليه » الاشتراكية تلخص سياستها الرسمية هناك في كلمات موجزات : عمل حربي لخلق الشروط اللازمة لانتخابات حرة ، ثم مفاوضة مع النواب الذين ينتخبهم شعب الجزائر حول الوضع المقبل لهذا البلد . ومثل هذه السياسة معروضة لاعتراضين اساسيين : فمن حقنا ان نتساءل : هل من الممكن ان نعيد النظام الى الجزائر على نحو تغدو فيه الانتخابات الحرة ممكنة ؟ فالحرب لا تبقي بعدها مجالا للحرية . ومن حقنا بعد ذلك ان نتساءل: اذا طلب نواب الجزائر الاستقلال التام والناجز فهل نحن على استعداد لان نمنحهم اياه ، ام ان المفاوضة ستدور فقط على الشكل الذي يتخذه الوضع في الجزائر ضمن الجمهورية الفرنسية او الاتحاد الفرنسي ؟

ولكن لنذهب الى ابعد من هذا . اذا لم تنجح فرنسا في القضاء على الثورة في الجزائر بعد بضعة اشهر ــ وسائر القرائن تدل على انها لن تقوى على ذلك ــ فماذا يحدث في فرنسا ؟ وكم من الزمن يستطيع الرأي العام الفرنسي ان يدعم الجهود الحربية هناك ، اليس من المتوقع ان يصبح الخلاف بين الفرنسيين الذين يقاومون مبدأ التفاهم مع الثوار وبين اولئك الذين ينتصرون لهذا المبدأ ، من الحدة والقوة بحيث يصبح من المستحيل تأليف حكومة شرعية في فرنسا ؟ ثم ان تونس ومراكش حصلتا على الاستقلال والجزائر بدورها لا بد ان تعي ذاتها . ولا يمكن بحال من الاحوال ان تغدو جزءا من فرنسا . ولا مناص من تكوين وحدة سياسية جزائرية . اما دمجها بفرنسا ، مهما يكن معنى هذا الدمج ، فأمر لا يمكن تطبيقه عمليا . ويكفي لذلك ان ندرك ان تمثيل ابناء الجزائر في مجلس النواب الفرنسي تمثيلا يتناسب مع عددهم هو خير وسيلة لتهديم نظام الحكم في فرنسا . فتكاثر السكان مختلف جدا بين فرنسا والجزائر ، وهذا الاختلاف وحده كاف لان يجعل من المستحيل على هذين الشعبين المنتسبين الى عرقين مختلفين ودينين مختلفين ، ان يكونا مجتمعا واحدا .

ثم ان اعتراف الاشتراكيين وحكومتهم بالشخصية الجزائرية على حد تعبيرهم ، هو في اعماقه اعتراف بأن حكومة جزائرية لا بد ان تتشكل في الغد . واذا شكلت حكومة جزائرية في الغد ، فلا بد ان تصبح مستقلة عاجلا أو آجلا . فللسياسة منطقها : والحماية تجلب الاستقلال ، لان الدولة الحامية لا يمكن ان تقوي الدولة المحمية دون ان تمنحها شيئا بعد شيء مقومات الاستقلال واسبابه . وهكذا حين يرفض حزب مبدأ الدمج التام (كما يفعل الاشتراكيون اذ يعترفون بالشخصية الجزائرية) فهو يطلق لا محالة الحركة الاولى من عمل لا بد ان ينتهي بالاستقلال . ومن الخلف المنطقي ان نعترف بأن الجزائر سوف تغدو في الغد دولة ، دون ان نعترف بأنها لا بد صائرة في الغد أو بعده دولة مستقلة .

ففيم يقاتل الفرنسيون اذن اذا كانت النتيجة المحتومة للقتال ، سواء ظفروا او هزموا ، نتيجة واحدة ، الا وهي استقلال الجزائر اخيرا ؟

قد يقال ان الفرنسيين اذ يرسلون اربعمائة الف جندي الى الجزائر ، يبغون هدفا بسيطا الا وهو عدم التخلي عن الفرنسيين المقيمين هناك منذ سنوات طويلة . وقد يقال ايضا ان الفرنسيين لا يشرفهم ان يضحوا بأصدقائهم المسلمين هناك وان يدعوهم فريسة لاقلية عنيفة (في رأيهم) . ولكن معنى هذا ان هدف الحرب في الجزائر ينبغي ان يرسم بكلمات ابين فيقال : ان فرنسا تحارب هناك لتجعل الجزائر تصل الى الاستقلال دون ان يكون في ذلك مساس بكرامة فرنسا ، ولتخرج هناك بحكومة اكثر اعتدالا من ثوار الجزائر واقرب الى الغرب . فهلا صرح المسؤولون بمثل ذلك ؟ لعل في بيان الهدف على هذا النحو تيسيرا للوصول الى حل مقبول ولاعادة النظام . فاذ ذاك تعمل الحكومة الفرنسية على بينة من الامر وتتخذ الخطوات العملية المؤدية الى هذا الغرض ، وعلى رأسها التعويض عن الفرنسيين الذين سوف يغادرون الجمهورية الجزائرية ..

ويختم الكاتب كلمته الاولى هذه ، ملخصا وجهة نظره ، فيقول :

« مبلغ ظني اننا نخفف كثيرا من محنة الفرنسيين اذا لم

نزيف لهم الحقائق . ففرنسا لا يمكن ان تحارب لتحول نهائيا دون استقلال الجزائر . انها تحارب لتمنح هـذا الاستقلال وفق اسلوب معين ولزعماء دون آخرين . واذا كان الفرنسيون يتأبون على هذه اللغة ولا يقرون ان يحاربوا الا للابقاء على سيطرتهم وحكمهم هناك (وهذا ما لا اعتقده) فخير لنا اذ ذاك ان نتبنى حـلا بطوليا هو التخلي عـن الجزائر واعادة الفرنسيين المقيمين هناك الى بلادهم ، مـن ان نتبنى حربا نسوقها عن غير ارادة منا ودون عزم ومـن غير امل في النجـاح » .

***

وفي الكلمة الثانية التي كتبها بعد عام ، يعاود الكاتب افكاره السابقة ، مع وقفة خاصة مفصلة عند بعضها . فلقد كشف العام الذي انقضى بين تحرير كلمته الاولـى وبين كلمته الثانية عن كثير من الحقائق التي صدقت حدسه ونبوءته . فالسياسة التي تتبعها الحكومة والتي تدعـى بسيـاسة تحقيق الهـدوء والسـلم اثبتـت فشلها ، واسـتبان للجميع انهـا زادت فـي تعقيـد الامور ، وعملت على ابعاد الشقة بين الفريقين المختصمين . لقد انقطعت الصلة خلالها بين السيد « لاكوست » الوزير المقيم في الجزائر وبين صفوة الجزائريين . وانضم الـى جيش التحرير اكثر العلماء والبورجوازيين والطـلاب والمفكرين وسائر من كانت تعقد عليهم الآمال فـي الوصول الى تسوية معقولة .

ولهذا آن الاوان في نظر الكاتب ، لتخلية مؤامرة الجبن، للكلام عاليا وقول الحق صراحا ، مهما يكن مرا ، ودون مـا مداعبة للعواطف ،مهما تكن مشروعة .

ومن هنا نراه يصوغ افكاره التي عرضها في كلمتـه السابقة صياغة جديدة ، فيجنح الى التساؤل عما ترغـب فيه فرنسا بدلا من التساؤل عما يمكنها ان تفعله . واول ما يثيره بهذا الصدد القول السائر : « الجزائر فرنسية » .. فيصيح في حماسة وحنق : « انتم يا من تلقون بهذا التعبير المؤثر في حمى العزة القومية ، انظروا اولا الى الواقع ، وتدارسوا الارقام ، قبل ان تحلموا في الثروات الدفينـة في الصحارى المحرقة » .

وما عسانا واجدين ان نحن درسنا الارقام واستقرأنا الواقع ؟ ان اول حقيقة نجدها هي ان شعب فرنسا وشعب الجزائر لا ينتسبان الى نموذج سكاني (ديموغرافي) واحد، ولا يخضعان لمستوى اقتصادي واحد .

ومعنى هذا ان دمج هذين الشعبين المتباينين تباينـا جذريا يصطدم بعقبات لا يمكن تذليلها : ذلك ان القوانين (الاقتصادية والاجتماعية) التي تلائم احدهما لا يمكن ان تلائم الاخر :

فنسبة الوفيات لدى عرب الجزائر تبلغ ١٥ ٪ ، ونسبة الولادات تبلغ ٤٣ ٪ وتقدر الاحصاءات تزايد عرب الجزائر بـ ٣٣٧٣٠٠٠ بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٧٠، وبـ ٤٥٢٧٠٠٠ بين عام ١٩٧٠ وعام ١٩٨٠ . وفي هذا التاريخ تبلغ عـدة الشعب العربي في الجزائر حوالي ١٨ مليون نسمة .

ومثل هذا التزايد السريع يخلق شعبا فتيا من طـراز خاص : فيه ٥٥ ٪ فقط يتجاوزون الستين مقابل ١١،٦ ٪ لدى غير العرب المقيمين في الجزائر و ١٦،٤ ٪ لـدى الفرنسيين المقيمين في فرنسا . اما عدد الرجال القادرين على العمل فقـد انتقل من ٢٠٤٨٠٠٠ عـام ١٩٤٨ الى ٢٣٦٥٠٠٠ عام ١٩٥٥ . ومن اجل هذا نجد زهاء ٨٠٠٠٠٠ شاب عاطلين عن العمل . ولا بد من خلق ٦٧٠٠٠ عمـل جديد في السنة حتى عام ١٩٦٠ ، و ٩٨٠٠٠ عمل بين عام ١٩٦٥ ، ١٩٧٠ ، و ١٢٧٠٠٠ عمل جديد بين عام ١٩٧٠ ، و ١٢٧٠٠٠ عمل جديد بين عام ١٩٧٥ ــ وعام ١٩٨٠

ومعنى هذا مرة اخرى ان الاوروبيين المقيمين فـي الجزائر لا بد ان يكتسحوا عدديا من قبل السكان العرب . ان عدد هؤلاء الاوروبيين اليوم حوالي ١،٠٤ مليونا مقـابل ٩ ملايين عربي . وفي عام ١٩٨٠ لن يزيد عدد الاوروبيين زيادة تذكر (فلن يتجاوزوا ١،٢ مليونا) بينما يبلغ العرب ١٨ مليونا كما ذكرنـا .

وتنجم عن هذا نتيجة اخرى هامة . وهي ان سائر ما نسمع به من تصريحات رنانة تتعهد فيها فرنسـا برفع مستوى حياة الشعب الجزائري وجعله قريبا من مستوى حياة الفرنسيين ، اقوال فارغة من اي معنى ما دامت زيادة السكان قائمة على هذا النحو وما دامت القوانين «المالتوسية» في تحديد النسل لا يمكن ان تطبق في مثل هذا البـلد المسـلم .

ولا يقف الامر عند هذا الحد ، بل يتجاوزه الى ابعد من هذا . فخلق وظائف واعمال جديدة يستلزم تصنيع الجزائر ولكن صناعيي فرنسا لا مصلحة لهم في اقامة مصانعهم في الجزائر ، ومصلحتهم تقضي على العكس من هذا بانشائهـا في فرنسا : فما ينتج في فرنسا اقل نفقات وكلفة ، والحرب الان قائمة ، وليس هنالك اي فرنسي يطمئن الى توظيف في ارض تخربها الاحقاد والمنازعات .

ولنخط خطوة ايضا . ما دامت الجزائر خاضعـة لسلطان فرنسا ، كان لا بد ان ننقل اليها نظمنا الفرنسية من مدارس ومستشفيات وتشريعات اجتماعية . ومعنى هذا اننا اذا اردنا ان نحقق العدالة لشعب هذا عديده ، وهـذا تزايد سكانه ، كان ذلك خرابا لفرنسا دون ان يكون فيـه انقاذ للجزائر .

وجملة القول ان الجزائر ليست جزءا من فرنسا ، ولا ينبغي ان تكون ، ولا يمكن ان تكون جزءا منها . فتزايـد السكان فيها وفقرها يجعلان منها بلدا متخلفا . وليس من المعقول ان تطبق فيها فرنسا نظاما مختلفا تماما عن بقية المحافظات الفرنسية اذا اصرت على كونها فرنسية . وهكذا يصبح الاعتراف « بالقومية الجزائرية » ضرورة تفرضها الحقائق السكانية (الديموغرافية) والاقتصادية كم تفرضها مطالب شعب الجزائر واعمال الثوار .

بل ان هنالك حقائق اخرى تجعل استقلال الجزائر امرا

مرغوبا فيه .

فدخول العمال الجزائريين لفرنسا دخولا حرا يطرح منذ الآن مشكلة خطيرة . لقد ازداد عدد هؤلاء العمال من ٦٠٠٠٠ عام ١٩٤٥ الى ٣٣٠٠٠٠ عام ١٩٥٦ . صحيح ان الصناعة الفرنسية في حاجة اليهم . ولكن البون الشاسع الذي سيقوم دوما بين مستوى حياة النازحين الى فرنسا ومستوى حياة القاعدين في الجزائر جدير بأن يؤدي الى هجرة جزائرية واسعة من شأنها ان تخلق البطالة وغيرها من المشكلات الاجتماعية .

بل ان تطبيق سياسة الهضم والدمج في الجزائر نفسها قد ادى الى نتائج شنيعة . فنقل نظام التعليم الفرنسي للجزائر ، من ابتدائي وثانوي ، عمل يعج بالخلف المنطقي . فهو يؤخر سن دخول الاطفال للمدارس ويقلل من عدد الاطفال الذين يتمون تعليمهم الثانوي . ومن الاسهل دون شك ان نعلم الجزائريين القراءة بالعربية بدلا من الفرنسية . ومن الجور الفاضح ان نطلب اليهم ، عندما يبلغون الحادية عشرة او الثانية عشرة من العمر ، ان يتقدموا لمسابقة دخول الصف السادس على قدم المساواة مع الفرنسيين ، رغم ما قد يتبدى فيه مثل هذا العمل من ظاهر العدالة .

وجملة هذا ، ان الجزائر ينبغي ان تخضع لنظام غير النظام الفرنسي ، سواء في الاعمال الكبرى او في التعليم او في التشريع الاجتماعي . وهكذا نجد من جديد ان الارقام والوقائع هي التي تضطرنا الى الاعتراف بالقومية الجزائرية ، لا الثورة الجزائرية وحدها .

وينتقل « آرون » الى تفنيد حجج الذين يخاصمون مثل هذه الافكار ، فيقول ان حجج هذا الفريق تتلخص عادة في جوابين متناقضين . فبعضهم يقول انك تريد بهذا ان تخرب الاقتصاد الفرنسي . وبعضهم الآخر ينادي انك بهذا تدع الجزائريين فريسة للبؤس . اما الفريق الاول فيزعم ان العامل الفرنسي يشتغل يوما من تسعة ايام من اجل الجزائر وان ٢٠ ٪ من صادرات فرنسا تذهب الى افريقيا الشمالية (٣٠٧ مليارات فرنك ، ١٧٢ منها للجزائر) وان الصناعة القطنية خاصة تفقد ربع اسواقها الخارجية ، وان صناعة السيارات تفقد ٤٣ ٪ من صادراتها الخ ..

ومثل هذه الحجج في نظر الكاتب فاقدة المعنى. فالجزائر حين تستقل تظل في حاجة الى ان تشتري وتبيع ، ومن الاسهل عليها دوما ان تبقي على تعاملها مع فرنسا .

ثم ان من الضلال بمكان ان نعتبر مصدرا للثروة الفرنسية مقاطعة يتضاعف عدد سكانها خلال ثلاثين عاما وتصرف فيها فرنسا سنويا رؤوس اموال يمكن ان يكون مردودها في فرنسا نفسها مردودا اكبر .

وهنا يجيب الفريق الثاني : اذا كان شعب الجزائر سيتضاعف عدده خلال ثلاثين عاما ، فأي بؤس سوف يتردى فيه ان نحن تركناه وشأنه ؟ فيجيب الكاتب بانه قد لا يكون من الانسانية ان نتخلى عن الجزائر وندعها لمصيرها، ولكن انقاذ الجزائريين من الفقر عن طريق ارسال جيش مؤلف من ٤٠٠٠٠٠ جندي يبدو له ابعد عن الانسانية دون شك .

وبعد ، اي تناقض بين القول بأن الجزائر مصدر ثروة لفرنسا وبين القول بأن فرنسا تود انقاذها من البؤس ؟ ان الكاتب يطلب بقوة من اولئك الذين يفاخرون بخدمات فرنسا للجزائر ويقررون في الوقت نفسه ان الجزائر صفقة رابحة ، ان يختاروا احد هذين القولين المتناقضين .

وهكذا ينتقل الكاتب الى التساؤل عن الحلول التي ينبغي ان تقدم لمشكلة الجزائر ويرى ان المقترحات في هذا المجال لا تعدو اربعة :

الاول متابعة سياسة « لا كوست » التي تدعى بسياسة تحقيق الهدوء والسلام .

الثاني تغيير وسائل هذه السياسة لا غاياتها .

الثالث تقسيم الجزائر .

الرابع القبول مبدئيا بالدولة الجزائرية .

اما الحل الاول فما من احد يشارك اليوم المقيم العام في امكان نجاحه ، حتى من بطانته . وعلى اي حال يقدر بعضهم فترة الحرب اللازمة لتحقيق السلم بما لا يقل عن سنتين او ثلاث . فاذا قبلنا جدلا هذا التقدير المفرط في التفاؤل والذي لا تؤيده الوقائع ، فماذا عسانا واجدون ؟ هب ان فرنسا تستطيع ان تنفق كل عام ٣٠٠مليار فرنك على حرب الجزائر . ولكن كم في هذا من مخاطر ! فقد ينقلب الحكم ، وقد يضغط الرأي العام الفرنسي على الحكومات، ويضغط عليها الرأي العام العالمي ، فاذا بها تتخلى عن الجزائر ويكون التراجع شائنا .

ثم ان ارادة فرنسا ليست وحدها التي تلعب دورا في هذا الموضوع . فمن يدرينا ماذا يحدث خلال ثلاث سنوات في مراكش وتونس ؟ ان استمرار الحرب في الجزائر لا

الكتاب الرائع

هل تريد ان تحل مشاكل امتك على ضوء العلم والتجربة ؟ هل تعرف اقوم طرق الاصلاح ؟ اذن طالع الترجمة العربية لكتاب الفيلسوف الجزائري

مالك بن نبي :

شروط النهضة ومشكلات الحضارة

ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين

يطلب من دار العروبة ـ شارع الجمهورية بالقاهرة

ومن سائر المكتبات العربية

بد ان يشجع العناصر المتطرفة هناك ويقلب فوق مراكش وتونس من فرنسا رأسا على عقب ويبعد عن السـاحة العناصر التي ترغب في التعاون معها . وهب جـدلا ان مراكش وتونس لم تتدخلا في المعركة فعلا . انهما على اية حال ستظلان قواعد مغذية للمقاتلين الجزائريين ، كما كانت الصـين قاعدة لفييتنام الشمالية وان ننس لا ننس ان افريقيا الشمالية ، شئنا ام ابينا ، تؤلف وحدة لا تتجزأ . ولا يمكن ان نتبنى في الجزائر سياسة مباينـة للسياسة التي تتبنى في تونس او مراكش .

اما الحل الثاني ، نعني تغيير الوسائل دون تغير الاهداف فصعوباته اكبر ايضا . فالقيام باصلاحات معدودة فـي الجزائر وتقديم مساعـدات لبعض العرب الناقمين علـى جبهةا لتحرير ، لن تجدي في هـذا المجال . فالعـرب الناقمون ، ان كان هناك قلة منهم ، لا يمكن الا ان تأخذهم العزة القومية ويتعاونوا مع ابناء جلدتهم . وفي حركات الثورة القومية ، الوزن الحقيقي للاقليات الفعالة النشيطة على اية حـال .

اما الحل الثالث ، نعني تقسيم الجزائر فأسق مطلبا. انه يرى ان يجمع اكثر الفرنسيين في المنطقة الشاطئية من مدينة الجزائر الى وهران ، ويؤلفوا جمهورية فرنسيـة يسمح للعرب بالحياة فيها على الا يتجاوزوا نسبة معينة . واما باقي البلاد فتؤلف جمهورية جزائرية يعيش فيهـا الفرنسيون على قدم المساواة مع الجزائريين ولكن علـى شكل غرباء .

ويرى بعض انصار هذا الحل ان يلحق الجانب الشرقي بتونس والجانب العربي بمراكش ، وان يؤلف المركـز ، مع رأس منه ممتد في الصحراء ، مقاطعات فرنسية .

وواضح ما في مثل هذا الحل من مصاعب . انه لا يعدو ان نطبق على افريقيا الشمالية الحل الذي طبق في فلسطين. والسابقة الفلسطينية لا تشجع على اعادة مثل هذه التجزئة . يضاف الى هذا ان مثل هذا الحل لن يرضي اي فريق من الفريقين المتخاصمين . فلن يرضى عنه فرنسيو الجزائر كما لا يرضى عنه عرب الجزائر .

وهكذا يصبح الحل الرابع هو الحل الوحيد الممكن . انه يعني القبول مبدئيا بدولة جزائرية ، مع الاعتـراف بامكان استقلال هذه الدولة . ومثل هذا الحل لا ينافي المصـالح الفرنسية ، على نحو ما بيّن الكاتب ، كما انه قد يساعد على الوصـول الى حل وسط بين العنـف المتواصل والتخلي المفاجىء .

ويختم الكاتب كلمته بدعوة صادقة الى ترك الاهـواء والعواطف والاحتكام الى لغة العقل . فأكثر الحجج التي يذكرها انصار الحرب في الجزائر تبريرات عقليا لمواقـف عاطفية جموحة . وما يزال الفرنسيون يفتقرون ، على احد تعبير « رينان » Reman عام ١٨٧٠ الى « الدماغ المفكر لا الى القلب . »

عبد الله عبد الدائم

للتدريس في الصفوف الابتدائية

تقـدم

لجنة التأليف المدرسي

- **المروج**
  سلسلة كتب حديثة في القراءة العربية . تقع في ستة اجزاء . ولها جزء تمهيدي هو « المروج الملونة » .
- **الجديد في دروس الاشياء**
  اربعة اجزاء في الاشياء والعلوم
- **كيف أكتب**
  سلسلة كتب جديدة مصورة في الانشـاء العربي تقع في اربعة اجزاء .
- **الجديد في قواعد اللغة العربية**
  سلسلة كتب حديثة في القواعد ، تقع في اربعة اجزاء .
- **الجديد في الخط العربي**
  تقع في خمسة اجزاء
- **الجديد في التاريخ**
  سلسلة كتب جديدة مصورة تقع في اربعة اجزاء حسب المنهاج اللبناني .
- **الجديد في الرسم**
  افضل اسلوب في تعليم الرسم
- **بيوت وازهار**
  طريقة جديدة في القراءة العربية تأليـف الاستاذ رشاد العريس
- **J'apprends le Français**
  سلسلة كتب حديثة في القراءة الفرنسية . تقع في اربعة اجزاء .